على عقيدة الصهيونية وممارساتها ، وخصوصا ما يتعلق بـ « ارض ـ اسرائيل » (ص ٥٠ ـ ٥٨ من الكتاب) · ولا حاجة للذهاب بعيدا من هذه الناحية· ان اي مهتم بالسياسة ، يشاهد رئيس وزراء اسرائيل مناحيم بيغن ـ مثلا ـ وهو يتحدث بتشنجه المعهود عن « ارض ـ اسرائيل » و « حقوق » اليهود فيها ، لا بد ان يثور لديه التساؤل وحب الاستطلاع بالنسبة لهذه المفاهيم · وباعتقادنا ان اي كتاب يبحث في تاريخ الصهيونية لا يتطرق الى هذه الناحية ، ولا يفسر وجهة النظر الصهيونية بشانها، سيكون ناقصا · ولذلك لا يمكن عند التعامل مع هذا التاريخ ، اللجوء الى اي منهج ، مهما وصف بانه « علمي » او « جدلي » ، يمكن ان يدفعنا الى استبعاد البحث في تاثير بعض المفاهيم الدينية اليهودية على الصهيونية · واذا حدث ذلك فلن نستطيع الاطلاع على ناحية مهمة من العقيدة الصهيونية ، وبالتالي سنغفل تاثيرها على السياسة الصهيونية العملية · وليس في ذلك اي فائدة ، بل انه على العكس قد يكون مضرا ·

وبامكاننا اضافة نقطة اخرى الى ما اشرنا اليه ، تتعلق بتاثير نشوء الدول القومية على تفكير اباء الصهيونية ، ومن تبعهم من قادتها ومعلميها · وهذا التاثير واضح للغاية في ناحية واحدة على الاقل : محاولات احياء اللغة العبرية · لقد كان الصهيونيون هم الذين بذلوا الجهود الكبيرة ، دون غيرهم من اليهود ، لاحياء اللغة العبرية وجعلها لغة عصرية متداولة يستعملها اليهود في حياتهم اليومية (مقابل اهمال الايديش ، بل ومقارعتها) انطلاقا من الراي القائل ان « دولة قومية » ينبغي ان تكون لها « لغة قومية » خاصة بها · وقد نجحوا فعلا في محاولات احياء تلك اللغة ، على الاقل داخل اسرائيل · إلا ان مسالة احياء اللغة لم تكن ، في نهاية الامر ، الاعنوانا لصراعات واسعة ومستمرة داخل الطوائف اليهودية ، في اماكن مختلفة من العالم ، حول ما يسمى « الثقافة اليهودية » · وقد اتسع نطاق هذه الخلافات فوصل الى الدين ، وادى الى اضطهاد الصهيونيين لاتباع بعض التيارات الدينية اليهودية ، وخصوصا الاصلاحي منها · ولم يكن هذا بالذات في مصلحة الصهيونية على المدى الطويل · وهذه ، مثلا ، احدى نقاط الضعف الصهيونية ، التي لا يجوز التغاضي عنها ·

ان العناصر التي اشرنا اليها (والتي لا حاجة الى الاسترسال في الحديث عنها كثيرا) وغيرها هي عوامل مهمة في مركب الصهيونية ، لا يجوز اغفالها · ولكي نتمكن من دراستها جميعا ، لجانا الى استعمال ما رأينا ان نسميه « المنهج المركب » ، ومنحاه كامن في فصل « التوطئة » في الكتاب (ص ١٣ ـ ٧٠)· **ولا نزعم ان هذا المنهج هو آية في الكمال وقمة العلم ، بل نعتقد انه المنهج الوحيد الصالح للتعامل مع الصهيونية ،** وهو من هذه الناحية افضل من المناهج الاخرى ، بما في ذلك تلك التي توصف بانها « علمية » ، وتقودنا في نهاية الامر الى طريق النظرة احادية الجانب وضيقة الافق · بل نكاد نقول ان ظاهرة الصهيونية هي احدى الامثلة التي يمكن تقديمها للدلالة على بعض نواحي النقص في تلك المناهج « العلمية » ·

وختاما ، لا بد من التاكيد على ان ردنا على مراجعة سمير ايوب **لا يجوز ان يفسر كاننا نريد القول ان كتاب « تاريخ الصهيونية » غير قابل للمراجعة او النقد·** فنحن لا نعتقد ان هنالك عملا ما يمكن ان يكون متكاملا من كل الوجوه · وكان املنا ان تكون مراجعة سمير ايوب ـ على الاقل بحكم حجمها ـ من ذلك النوع من « القراءات » الذي يقوم به اناس اكفاء من حيث اطلاعهم على الموضوع ، فيساهمون بذلك في اثراء النقاش حوله ، لما فيه المصلحة العامة ·